وقد اشترك في اعمال سياسية كثيرة كلف بها من قبل الحكومة عندما كان أمين سر الدولة فقد أوفدته، حكومة فلورنسه في عدة مهمات سياسية خارج فلورنسه، وعلى الأخص لدى بلاط فرنسا في عهد لويس الثاني عشر في عامي ١٥٠٠ و١٥٠٤، والى روما سنة ١٥٠٣، وقد أفادته كثيراً تلك البعثات السياسية وأطلعته على أسرار السياسة الأوربية والعلاقات الدولية.

وحاول أن يبشر بآرائه التقدمية في جمهورية فلورنسة، حيث كان يراها ضعيفة تتسلط عليها الأطماع الشخصية وتتنازع فيها الأحزاب، وأنها تعيش بغير جيش وطني يحميها بدلا من الاعتماد على الجنود المرتزقة ولكن ذهبت صيحاته أدراج الرياح. وضعف شأنه عندما عاد آل مدريشى الى الحكم في صيف عام ١٥١٢ وسقطت الجمهورية الفلورنسية، ولم تعد له حظوة في البلاط الجديد. عندئذ تفرغ للتأليف، ووضع كتابه "الأمير"، وضمنه كل أفكاره عن أصول الحكم وفن السياسة مستوحياً آراءه من دراساته التاريخية عن الحكم اليوناني والامارات الايطالية منذ العصور الوسطى حتى العصر الذي عاش فيه. وقد انتهى في كتابه الى أن خير حكم يرجوه لبلاده هو الحكم الاستبدادي المستنير الذي يتجاهل المثل الخلقية والدينية ان كان فيها ما يعرقل نجاحه أو يوقف تقدمه.

وقد رأى ماكيافيلى أن يكون كتابه عن أمير وطني يتخيله منقذا لإيطاليا من الانقسام والغزو الأجنبي. فيقدم له النصح والارشاد والحكمة السياسية. واضعاً نصب عينيه مبدأ الغاية تبرر الوسيلة حتى ولو اختلفت الوسيلة مع المبادئ الخلقية المتوارثة، وليس معنى هذا أن تطبق تلك النظرية في كل الظروف اذ نجد في كتابة بعض الارشادات التي تتمسك بالمبادئ الخلقية مادامت هذه المبادئ لا تقف حجر عثرة في سبيل تأسيس الدولة القوية، وبذلك كان يميل الى الواقعية، وبذلك تتكون الدولة التي يقوم فيها الأمير بتوحيد البلاد ورأب الصدع وجمع شتات الوطن الايطالي الممزق، وأن يكون هدفه المصلحة العليا للبلاد. وينتهي ماكيافيللي الى نصح الأمير بأن يكون أنسانا وطاغية في وقت واحد معا، وان لم يكن كذلك (فلا بقاء له)، وعليه أن يكون مخادعا عند اللزوم، ولا يرتبط بوعد بذله ولا بعهد قطعه على نفسه. والا يعطي الحرية للناس الا بقدر، لانهم في كثير من الاحيان يستغلون مراكزهم، كذلك يطلب من "الأمير" أن يتخذ الحزم والقسوة أسلوباً يحكم به الرعايا حتى يخشوا بأسه ويحذروا بطشه، وفي الوقت نفسه يعمل على اسعادهم بالسعي في اقامة مشروعات نافعة تدر عليهم الخير الوفير. وبذلك يرهبونه في وقت معا. ولكنه اصر على ألا يحرم الناس من ممارسة الحرية في ظل طاعة الحاكم، حتى يأمن من كراهيتهم من المؤامرات التي قد تدبر ضده.

وأخيراً، يعود الى رأيه الذي طالما نادى به، وهو أن الدولة التي لا جيش لها، ليست في مأمن من الخطر الداخلي والعدوان الخارجي، فعلى "الأمير". أن يجند جيشاً وطنياً يرهبه ويخلص له، وأن يختار وزراءه وحاشيته من أفاضل الرجال وحكمائهم ويفتح بابه لأصحاب المواهب والكفايات حتى تصبح حكومته جمهورية مثالية تخشاها الرعية وتلتف حولها.

وقد انتشر آراء ماكيافيللى في عدد من الدول الأوربية التي حاول ملوكها تطبيق نظرياته كفرنسا في عهد الملكة الوالدة كاترين دي مديتتنى ولويس الرابع عشر، وبروسيا في عهد فردريك الأكبر، وغيرهم من حكام أوربا في القرن السادس عشر والسابع عشر.

٧- النهضة خارج شبه الجزيرة الإيطالية

لما أشرقت شمس النهضة في ايطاليا مدنها مهاداً للنهضة الأوروبية ومراكز للإشعاع الفكري والفني والثقافي، ارتحل إليها طلاب العلوم والفنون من أنحاء أوروبا ينهلون من مراكز النهضة فيها ما شاء لهم شغفهم بالتحصيل العلمي وبذا تعدت النهضة حدود إيطاليا إلى أنحاء أوروبا. بعد أن عاد هؤلاء

الطلاب إلى بلادهم مدفوعين لنشر الآراء الجديدة بين مواطنيهم. وقد اتسمت النهضة في كل دولة أو إقليم بطابع خاص، ومظاهر معينة، حسب خصائص كل شعب واستعداده وأحواله السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

ويعد ديديه إرزمس (Didie Erasmes (١٥٣٦-١٤٦٧ وهو عالم هولندي ولد في روتردام أكبر داعية للنهضة خارج شبه الجزيرة الإيطالية، وقد طاف معظم ممالك أوروبا وطبقت شهرته هذه الممالك، حتى أن كلا من فرنسا وانجلترا وألمانيا كانت تدّعيه لنفسها استنادا إلى أنه أقام بكل منها زمناً يحاضر في اللغتين الإغريقية واللاتينية، وتجمع حوله علماء تلك الممالك وصفوة المثقفين فيها. واهتم ارزمس بدراسة العلوم والآداب القديمة في هذه الممالك وجمعها والتعليق عليها ونشرها للإفادة منها. ووضع إرزمس عدة مؤلفات باللغة اللاتينية.

وعندما بلغ إرزمس سن الثلاثين دعاه أحد اشراف إنجلترا فلبى الدعوة، واكتسب صداقات عديدة في لندن ومنهم توماس كولت وتوماس مور. وكان إرزمس وكولت يريان أن التعليم أرفع المهن. وعمل هؤلاء الثلاثة على نشر الإنجيل حتى يصل إلى كل فلاح وغزّال ومسافر.

وقد أدرك إرزمس معايب الكنيسة والأديرة وشاركه الكثير من المفكرين في ذلك، ومع إنهم كانوا يرون ضرورة إصلاحها فإنهم لم يفكروا في الثورة عليها.

❖ النهضة في فرنسا

في الوقت التي ظهرت فيه النهضة في إيطاليا كانت فرنسا تمر بفترة صعبة في تاريخها بعد الحروب الطويلة ضد انجلترا وما خلفته من خراب ودمار في كل مكان. وكانت الدولة ضعيفة والأمراء يتصارعون على السلطة فلم يكن في وسعهم الاهتمام بالفنون الإيطالية ولا مسايرتها أو أن يشجعون رجالهم على تقديم فنون خاصة بهم، ولكن الشعب الفرنسي أصبح أكثر تقبلاً للفن الإيطالي بعد غزو جيش فرنسا لإيطاليا عام ١٤٩٤، ومن هنا فإن النهضة في فرنسا تعتبر وليدة النهضة في إيطاليا وقد بهت ملوك فرنسا ومن معهم بما شاهدوه من تقدم حضاري منقطع النظير في نواحي المعرفة المختلفة وفي مختلف الفنون فحاولوا جميعاً جاهدين أن ينقلوا هذه الحضارة إلى فرنسا حتى لا تقل عن إيطاليا في التقدم الحضاري.

وقد سرت النهضة من إيطاليا إلى فرنسا حيث رحب الملوك والأمراء الفرنسيون بالعلماء والشعراء والفنانين من لويس الحادي عشر إلى فرنسوا الأول، وتتمثل روح النهضة في مرجريت أخت فرنسوا الأول حيث كانت شاعرة وفنانة واسعة الاطلاع وكانت الرسائل لا تنقطع بينها وبين إرزمس حتى أنها لتعد تلميذته، كما كانت تكرم الشعراء والعلماء والأدباء.

وقام الملك شارل الثامن (١٤٨٣-١٤٩٨) ملك فرنسا بشراء ما يزيد على نصف مليون تحفة من فلورنسا، كما أنه اصطحب معه بعثة من الفنانين بلغ عددهم ٢٢ فناناً، وحصل فرنسوا الأول (١٥١٥-١٥٤٧) على مجموعة من القطع الرخامية القديمة، وكلف كلاً من رافائيل وليوناردو دافنشي بعمل بعض اللوحات الفنية وأنشأ في قصره حلقة تضم نخبة من الفنانين الإيطاليين. وقد شارك الشعب ملوكه في تحمسهم لحركة النهضة مما كان له أثره في انتشارها في فرنسا.

وشجع ملوك فرنسا عدداً من العلماء الإيطاليين وبعض البيزنطيين على المجيء إلى باريس لتدريس اللغات اللاتينية والإغريقية والعبرية فيها. ومع ازدياد إعجاب ملوك فرنسا بالنهضة فقد أدخلوا إلى

بلاطهم الكثير من مراسيم وتقاليد الأمراء الإيطاليين. وقد شجع فرنسوا الأول هذه الحركة في بلاده وتوثقت عرى الصداقة بينه وبين علماء الدراسات الإنسانية. وكان من أشهر علماء فرنسا جويلوم بوديه College Bude ١٤٦٧-١٥٤٠ الذي اشتهر بمعرفة اللغة الإغريقية، وعد من أعظم علمائها في عصره في جميع ممالك أوروبا، وهو الذي شجع فرنسوا الأول وأخته مرجريت على إنشاء كلية فرنسا College de France عام ١٥٣٠ خارج نطاق جامعة باريس وعين فيها أستاذة في الدراسات القديمة. وقد أطلق عليه باعث الفنون وراعيها مما يدل على تشجيعه لرجال الأدب والفن.

ورغم مضايقات ومعارضات السوربون فقد نمت كلية فرنسا حتى أصبح بها عشر كراسي عند موت فرنسوا الأول فكانت تدرس اليونانية واللاتينية والعبرية والفلسفة والرياضة والجغرافية والطب، وإليها يرجع الفضل في نشر الدراسات الإنسانية في فرنسا، كما ترك بوديه بعض المؤلفات. وعلى الرغم من أن حركة النهضة في فرنسا قد اتجهت اتجاهاً فنياً أدبياً شأنها في ذلك شأن النهضة في إيطاليا إلا انها قد اختلفت عنها في النواحي الآتية:

١- أن النهضة الأدبية فيها على الرغم من ازدهارها لم تصل إلى الحد الذي بلغته في إيطاليا، وقد بلغت النهضة الأدبية في فرنسا أوجهاً وعظمتها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.
٢- أن حركة التطور نحو النهضة الفنية والأدبية في فرنسا كانت بطيئة لأنها لقيت مقاومة من كلية اللاهوت بجامعة السوربون التي عارضت تدرس اللغات القديمة ولأنها لم تجد السبيل الممهد الذي وجدته هاتان الحركتان في إيطاليا، وقد أوجدت فرنسا لنفسها فناً وطنياً له أنصاره.
٣- أن النهضة الفنية في فرنسا اتجهت نحو إقامة المباني العامة لأنها كانت ذات صفة معمارية وتمثل ذلك في حسن الابتكار في إنشاء مجالس البلديات والحدائق وتشييد القصور لإقامة الحفلات ولإظهار العظمة والأبهة على حين كانت نهضة المعمار في إيطاليا تهتم ببناء الكنائس ودور العبادة. وهكذا تميزت النهضة الفنية في فرنسا في مجالي العمارة والنحت بصفة خاصة.

❖ النهضة في المانيا

واجهت الدراسات الإنسانية في ألمانيا مقاومة شديدة من الأوساط العلمية والدينية وذلك على الرغم من أن بعض الجامعات الألمانية قد أفسحت للدراسات الإغريقية واللاتينية مجالاً في برامجها إلا أن مقاومة رجال الكنيسة الألمانية قد حدت من انتشارها انتشاراً واسعاً ولا سيما أنهم قد ربطوا بين هذه الدراسات وبين روما، فعندما رجع العلماء في ألمانيا إلى قديمهم لم يجدوه وثنياً كما وجد الإيطاليون قديمهم وإنما ألفوه المسيحية الأولى. وقد راعهم الفرق ما بين رسلها السابقين وممثليها في عصرهم، ولذلك فإنهم كانوا يمقتون رجال كنيسة روما لانحرافهم الخلقي، ومن ثم فقد كان الألمان يطلبون أن يعودوا بالمسيحية إلى بساطتها الأولى وطهارتها وتقواها وإخلاصها، ورأوا أن ذلك لن يتم إلا بتفهم المسيحية بشكل صحيح قبل أن تفسدها العصور الوسطى وتعقيداتها قبل أن تدخلها البدع والخرافات والأساطير الدينية.

وفي النصف الثاني من القرن الخامس عشر تقدمت الثقافة والدراسة في ألمانيا وهي الفترة التي زاد فيها سلطان الأمراء الألمان بشكل واضح. وقد نشأت في ألمانسا في ذلك الوقت كثير من الأكاديميات. كما ظهرت فيها الطباعة على يد يوحنا جوتنبرج ومنها انتقلت الى إيطاليا عام ١٤٦٥ ثم إلى باريس عام ١٤٧٠ ثم لندن عام ١٤٧٧ فاستوكهلم عام ١٤٨٣ مما نتج عنه طبع حوالي تسعة ملايين كتاب في نهاية القرن الخامس عشر، وقد عرفت بأنها الفن الألماني.

ويلاحظ أن الجانب الأكبر مما أخرجته المطابع يتصل بالدين في الفترة الأولى وذلك لأن رجال الكنيسة كانوا هم أساس وغالبية الطبقة المتعلمة، وعمل ذلك على زيادة اهتمام الأهالي بالدين وزيادة اهتمامهم بقراءة الكتب الدينية ومناقشتها وذلك قبل أن يتضح ظهور الحركة الفكرية والنقدية في القرن السادس عشر.

ومن أعلام الحركة الإنسانية في ألمانيا يوحنا روخلن Johann Reuchlin (١٤٥٥-١٥٢٢) الذي تخصص في الدراسات الإغريقية واللاتينية في روما وغيرها من مدن ايطاليا ثم في باريس وفي بال بسويسرا، وعمل نشر هذه الدراسات بين مواطنيه، كما اهتم بالدراسات العبرية.

أما عن النهضة الفنية في المانيا فإن الألمان لم يتحمسوا لتليد القديم في المباني فقد ظلوا محتفظين بالطابع القوطي الذي كان سائداً في العصور الوسطى ويتمثل ذلك في بناء الكنائس والكاتدرائيات فاختلفوا بذلك عن الايطاليين بل والفرنسيين. وقد أدخل الألمان تحسينات على الأرغن ونبغوا في النقش والحفر والخشب والبرونز وخلّفوا بذلك شهرة عالمية فائقة شهدت بمهارة الألمان. ولم يشتهر في التصوير غير هلبين.

وفي القرن السادس عشر حدث تغيير في ألمانيا، فقد أدى الكشف عن الطرق البحرية الجديدة إلى تأثر أوضاع ألمانيا الاقتصادية، وانعكس ذلك على حالة البلاد فدبت فيها الفوضى الدينية والاجتماعية نتيجة لتحول أذهان الأهالي إلى ضرورة الإصلاح الديني وأصبح الدين وليس الفن هو العامل الفعال، وزاد اهتمامهم بكتاب مارتن لوتر، كما زاد اهتمامهم بالموسيقى التي نبغوا فيها. وهكذا إتجهت النهضة في ألمانيا اتجاها علمياً ودينياً، وخلت كتابات أعلام النهضة في الألمان من أية نزعة وثنية. وجدير بالذكر أن الألمان لم يتحمسوا لمحاكاة الإغريق والرومان في طرق معيشتهم وأزيائهم على غرار ما فعل الايطاليون.

❖ النهضة في انكلترا

قاست انجلترا كثيراً من جراء حربها الطويلة مع فرنسا والمعروفة باسم حرب المائة عام والتي انتهت بطرد الإنجليز من فرنسا عام ١٤٥٣، ولم يمض عامان على نهاية هذه الحرب الطويلة حتى بدأت حرب جديدة عرفت باسم حروب الوردتين في الفترة من عام ١٤٥٥ إلى عام ١٤٨٥. وبعد أن تخلت إنجلترا عن محاولتها لاحتلال فرنسا عملت على بسط نفوذها على الجزر البريطانية وعلى الفضاء على الإقطاع الموجود داخل الدولة والتوسع في التجارة وإنشاء المستعمرات فيما وراء البحار.

وكان استمرار الحروب في إنجلترا من أهم أسباب تأخر ظهور النهضة فيها عن باقي الممالك الأوربية، وبعد نهايتها أخذت الدراسات الإنسانية طريقها إلى إنجليز، وبدأت حركة النهضة في عهد أسرة التيودور. قامت الدراسات الإنسانية فيها على بعض الإنجليز الذين سافروا إلى إيطاليا فنهلوا من الدراسات القديمة في عدد من المدن الإيطالية مثل فلورنسا وروما والبندقية. وكان معظم هؤلاء الإنجليز من الإنجليز من أكسفورد، ولما عادوا اتخذوا من اكسفورد مكاناً لإلقاء محاضراتهم ونشر آرائهم الجديدة فأطلق عليهم مسمى مصلحو اكسفورد Oxford Reformers.

وساعدت زيارات ارزمس لأكسفورد في عام ١٤٩٩ ثم إقامته في كمبردج (١٥١٠-١٥١٣) ومحاضراته في جامعاتها على ازدهار الدراسات الإنسانية والقديمة في انجلترا وبخاصة الدراسات الإغريقية؛ وبذلك يعتبر ارزمس من أعلام المصلحين في اكسفورد بسبب زياراته لانجلترا ولعلاقاته

الوطيدة بعلمائها. وقد اهتم المصلحون بأكسفورد بدراسة القديم وبتحرير الفكر الإنساني من القيود التي كانت تفرضها الكنيسة على حرية الفكر والبحث العلمي.

وكان من أعلام النهضة في انجلترا توماس كولت Thomas Colhg الذي أدخل دراسة اللغة الاغريقية. بجامعة أكسفورد، وتوماس مور Thomas More اللذان كانا من أصدقاء إرزمس وتعاونوا على نشر الانجيل.

وفي عام ١٥٤١ أصدر هنري الثامن مرسوماً ملكياً بإنشاء خمس كراسي أساتذية في جامعة كمبردج للغة اليونانية والعبرية واللاهوت والقانون المدني والطبيعة. وفي النصف الأول من القرن السادس دخلت الدراسات الإنسانية برامج المدارس الانجليزية، وكانت أقدم المدارس التي أسست لهذه الدراسات مدرسة سان بول Saint Pa hhh ul وتبع ذلك إنشاء مدارس أخرى في لندن وضواحيها.

أخذت النهضة في إنجلترا طابعا دينياً لخدمة المسيحية واختلفت بذلك عن النهضة في إيطاليا وفرنسا التي اتجهت اتجاها غير ديني؛ ولذلك فإن النهضة في إنجلترا لم تقتصر على الأدب والفنون بل شملت الدين أيضاً حيث أن توفق بين العقيدة وبين الجمال والدين ومن ذلك ما كتبه سبنسر Sir Walter Raleigh ولكنها خلت من التصوير والحفر.

❖ النهضة في اسبانيا والبرتغال

زار عدد من الاسبان شبه الجزيرة الإيطالية في القرن الخامس عشر وتلقوا دراسات في اللغة اللاتينية والاغريقية والعبرية وعادوا إلى بلادهم ليحاضروا في اشبيلية ولشبرنه وغيرها، وهكذا كانت شبه جزيرة ايبيريا في مطلع القرن السادس عشر مهيأة للدراسات الإنسانية.

وتمثلت روح النهضة في اسبانيا في توحيد أرجوانه وقشتاله وإعادة غرناطة إلى حظيرة الدولة. وكان ذلك تمهيداً لروح المخاطرة الأكبر والبحث عن المجهول المتمثل في حركة الكشوف الجغرافية والذي اضطلع بها الغالب كل من إسبانيا والبرتغال.

وإذا كان كريستوفر كولمبس قد وصل إلى امريكا فإن مجهودات طويلة كان البرتغاليون قد سبقوه بها للوصول إلى الهند بالإقلاع جنوباً تجاه السواحل الغربية للقارة الافريقية تمهيداً للالتفاف حول أقصى جنوب القارة والوصول إلى المحيط الهندي وإلى الهند؛ وبذلك توصل بحارة شبه الجزيرة الأيبيرية وبتعضيد ملوكها إلى عالم جديد له ثرواته والى ثروات الشرق الأقصى التي أخذوا ينقلونها عبر طريق رأس الرجاء الصالح إلى بلادهم في غرب أوروبا.

وهكذا أدت هذه الحركة التي نبعت أساساً من النهضة وروحها إلى تحول للمكاسب المادية الناتجة عن التجارة الدولية من أيدي دول الشرق الأوسط والمدن والموانئ الإيطالية التي كانت مهد ظهور النهضة إلى دول غرب أوروبتا المطلة على المحيط الأطلسي، وكانت هذه نقطة تحول خطيرة بالنسبة لتاريخ البحر المتوسط والمحيط الاطلسي وبالنسبة لتاريخ العالم كله.

ولما كان ملوك إسبانيا شديدي التعصب للمذهب الكاثوليكي فقد وضعوا موارد البلاد ومستعمراتها في العالم الجديد في خدمة الكنيسة الكاثوليكية في روما لضرب البروتستانت. وبعد أن تبوأ شارل الأول ملك إسبانيا عرش الدولة الرومانية المقدسة عام ١٥١٩ باسم الإمبراطور شارل الخامس فقد عقد البابا كلمنت السابع معه اتفاقا في بولونا ١٥٣٠ لتصفية الحركة الإسبانية ونجم عن ذلك أن أصبح للدراسات

الإنسانية في اسبانيا خصوم أقوى نفوذا، استعانوا بمحاكم التفتيش للتنكيل والبطش بأصحاب الدراسات الإنسانية. وعلى ذلك فإن النهضة لم تكن لها تأثير عميق في المجتمع الإنساني بعد أن واجهت- فكرياً على الاقل- هذه التكتلات وازدادت صلابة وقفة شارل الخامس مع الكنيسة والبابوية في الوقت الذي ظهرت فيه حركة الإصلاح الديني.

❖ النهضة في الأراضي المنخفضة

كانت الأراضي المنخفضة -أو ما يسمى الآن بلجيكا وهولندا- تابعة لإسبانيا وبالتالي فقد انسحب على ممتلكات إسبانيا ذلك الحجر الذي فرض على الدراسات الإنسانية في إسبانيا، ثم قامت الثورة في الأراضي المنخفضة للاستقلال عن إسبانيا. وفي أثناء الصراع الحربي بين فيليب الثاني ملك إسبانيا وشعب الأراضي المنخفضة أنشئت جامعة ليدن Leyden تخليداً لذكرى انتصتار الهولنديين على الإسبان عام ١٥٧٤. وسرعان ما أصبحت جامعة ليدن مركزاً مهما للدراسات الإنسانية واهتمت بالدراسات اللاتينية وبخاصة فيما يتصل بالتاريخ والآثار وبالادراسات الإغريقية وبخاصة ما يتصل بالأعمال المسرحية التراجيدية، كما وضعت مسرحيات باللغة اللاتينية. وقد استهدفت الدراسات الإنسانية بوجه عام في الأراضي المنخفضة نشر ونقد المؤلفات المتخصصة بالدراسات الإنسانية.

وكان ارزمس الهولندي أكبر ممثل للنهضة خارج إيطاليا، وعقدت له الزعامة الثقافية في أوروبا. وكان يرى أن الغاية من الدراسات الإنسانية إصلاح المجتمع الأوربي وتخليصه من الجهل ومن الشرور والآثام والفضائح الخلقية التي كانت ترتكب جهاراً، أي علاج الأمراض الاجتماعية والمساوئ الخلقية. وكان في طليعة الداعين إلى الاصلاح الديني. ومع رغبته في النهوض بالكنيسة فإنوه لم يدع إلى الثورة عليها، كما أن كتاباته لم تظهر فيها أية نزعة وثنية فكان مسيحياً متديناً مستنيراً معتدلاً، واتسمت كتاباته بالبعد عن العنف. وقد توفي في بال بسويسرا عام ١٥٣٦ وأطلق عليه بعض المؤرخين فولتير اللاتيني.

ومن اشهر الفنانين الهولنديين المصور فان ايك Van Eyc. وتمتاز صور هذا الفنان بالجلال أكثر من امتيازها بالجمال، ويتضح ذلك جليا في صور العذراء التي رسمها.

وكان اثر النهضة ضئيلاً في روسيا وبلاد البلقان التي كانت خاضعة في ذلك الوقت للدولة العثمانية. ولم يتعد هذا الأثر بعض مظاهر فردية لا ترقى إلى تطوير جذري مباشر أحست به الجماهير في تلك الأقاليم، ولم يطرأ أي تغيير على المجتمع أو نظم الحكم أو الفنون أو الدين أو الأدب. ومن مظاهر الفردية صورة رسمها أحد الفنانين البنادقة للسلطان محمد الفاتح وضعت في قصر السلطان في الآستانة، وتشييد قصر الكرملين Kremlin في موسكو وأخذهم خطوطه من ميلان.

منذ ذلك الوقت ونتيجة لانتشار روح النهضة من إيطاليا بقية انحاء أوروبا أصبح العالم أكثر اهتماماً بنثر فرنسا وشعر انجلترا ومسرحياتها الدرامية وموسيقى ألمانيا منه بكل ما اشتملت عليه البندقية وفلورنسا من آثار وفنون.

رابعاً: نتائج النهضة

تألفت الامبراطورية الرومانية المقدسة من ألمانيا وإيطاليا في العصور الوسطى. وقد تداعى نفوذ الامبراطور هناك في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، حيث واجه الامبراطور الألماني خصوماً أقوياء تمثلوا بحكام الإمارات الإقطاعية، فقد كانت هذه الإمارات على شكل وحدات سياسية اتخذ بعضها طابعاً ديناً كان يحكمه أسقف وبعضها طابعاً علمانياً حكمه أمير. وقد نجح هؤلاء الحكام في جعل أنفسهم مستقلين

مع الاعتراف الشكلي بالامبراطور حيث كانوا يقبلون أحياناً تقديم الأموال والجنود له ويمتنعون أحياناً أخرى. أما في إيطاليا فقد اصطدم الامبراطور بالبابا وجرت صراعات عنيفة بينهما.

وبمجيء النهضة ازداد ضعف مركز ونفوذ امبراطور الدولة الرومانية المقدسة، فقد حاول الامبراطور في ألمانيا الاستعانة بالطبقة الوسطى من اتجل تثبيت مركزه تجاه الأمراء ورجال الدين، ألا أن هؤلاء الحكام فضلوا الاحتفاظ بإماراتهم وامتيازاتهم، لذا بقيت ألمانيا ممزقة إلى وحدات سياسية تجاوز عددها ٣٥ وحدة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، لذا يمكن القول إنه لم يكن للنهضة تأثير في الاوضاع السياسية الداخلية في ألمانيا، أما مجتمع إيطاليا فقد كان مليئاً بالتناقضات الاجتماعية والسياسية ولم تكسب إيطاليا شيئاً من النهضة من الناحية السياسية، فم توجد فيها حكومة مركزية بل أن إيطاليا ظلت موزعة بين وحدات سياسية متنافسة خضع قسم منها للنفوذ الأجنبي حيناً آخر. كما أصبحت إيطاليا ميداناً لحروب كبيرة بين ملك فرنسا وإسبانيا (الحروب الإيطالية).

أما دول غرب أوربا فرنسا وإسبانيا وانكلترا، فقد نجح ملوكها في توحيد ممالكهم وفي بسط السلطة المركزية على جميع أنحاء بلادهم، حيث قطعت هذه الدول شوطاً كبيراً في إنشاء الحكومة المركزية الموحدة. وقد ساهمت النهضة لاحقاً في دعم القوى الباعثة للقومية واستكمال الشخصية المستقلة للأمم. وقد استغلت الملكيات في غرب أوربة ظهور الطبقة الوسطى من أجل تدعيم مركزها تجاه النبلاء وأمراء الإقطاع ورجال الدين تالكبار حيث تلاقت مصلحة الملكيات مع مصتالح أفراد الطبقة الوسطى هناك من أجل الحد من الامتيازات التي تمتع بها النبلاء ورجال الدين. وقد شكل اختراع البارود الذي كان ثمرة من ثمار النهضة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر سنداً كبيراً للملكية ضد الأمراء الإقطاعيين، فقد كان اختراعه عاملاً مهماً في سرعة تدهور النظام الإقطاعي وانهيار نظام الفروسية واختفاء طبقة رقيق الأرض ونمو الروح القومية واستخدام اللغات القومية وقيام الملكيات ذات الحكومة المركزية الموحدة التي أصبحت بدورها ملكيات مستبدة مطلقة تحررت من نفوذ البابا السياسي.

وقد عصفت النهضة بالنظرية السياسية التي سادت في اوربا في العصور الوسطى، والتي تضمنت تشكيل العالم المسيحي لوحدة عامة سياسية ودينية تخضع لقوتين البابا والامبراطور، ومن واجب كل فرد طاعتهما طاعة عمياء. فلما جاءت النهضة تطلع الباحثون إلى النظريات والأنظمة السياسية الموجودة ومدى صلاحيتها لتحقيق السعادة للمحكومين. وقد ظهرت نظريات سياسية كان بعضها معروفاً من قبل، وقد طبق قسم منها بعض الملوك كلويس الحادي عشر، الملك الفرنسي ١٤٦١-١٤٨٣م، وقد أباحت هذه النظرية استخدام جميع الوسائل الأخلاقية وغير الأخلاقية من أجل تحقيق أهداف الحاكم، وتضمنت أيضاً تحريضاً على تجاهل تعاليم الأديان السماوية وإخضاع جميع المبادئ للمصلحة السياسية. ولكن الجديد فيها أن السياسي مكيافللي قد سجل ذلك في كتابه الأمير، الذي طالب فيه بتطبيق هذه السياسة من أجل إقامة الوحدة الإيطالية.

وقد تم تحطيم الحواجز التي كانت تحول دون اندماج الفرد في المجتمع، بعد أن كان كل فرد في العصور الوسطى ينتمي إلى نقابة أو طائفة تفرض عليه قيوداً ثقيلة في نظام معيشته ولباسه وأسلوبه في العمل. وقد تمكن الفرد من استرداد حريته وبدأ بممارسة نشاطه المهني والصناعي والتجاري وهو حر من كل قيد. وقد قضت النهضة على احتكار الكنيسة للعلم فتم فتح مدارس وجامعات كثيرة، وتم تحرير العقل البشري من الخرفات والقيود المفروضة على البحث العلمي مما أدى إلى ظهور مخترعات وكشوف جغرافية أدت دوراً كبيراً في تطور المجتمعات الإنسانية. وفي الختام يمكن القول إن عصر النهضة قد أحدث تغيرات كبيرة في النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي عرفته أوربة في العصور الوسطى.

من اهم نتائج الكشوف الجغرافية

الفصل الثاني

الكشوف الجغرافية

ظهرت حركة الكشوف الجغرافية مبكرة منذ بداية القرن الخامس عشر، واستمرت خلال القرن نفسه ولم تظهر نتائجها الحاسمة إلا في نهايته، حيث حفلت بحادثين مهمين يعدان من أعظم أحداث ذلك القرن وامتد أثرهما إلى حد كبير في الأحداث التي تعاقبت على أوروبا والعالم أكمله في القرون التالية.

الحدث الأول وقع عام ١٤٩٢ وهو كشف العالم الجديد، والحدث الثاني كان في عام ١٤٩٨ وهو كشف الطريق من أوروبا إلى الهند بحراً حول أفريقيا فيما عرف بطريق رأس الرجاء الصالح. وتعد هذه الكشوف من أهم النتائج العلمية لحركة النهضة، كما أنها تعد من أهم مميزات تاريخ أوروبا الحديث لما تبعها من حركة استعمارية واسعة النطاق قامت بها قلة من الدول الأوربية، ثم لم تلبث أن انظمت إليها دول أخرى في محاولة منها لتحقيق نصيبها من هذا الكسب المادي العظيم، وترتبت على ذلك حروب بين هذه الدول لم يقتصر ميدانها على بقاع ومواطن هذه المستعمرات وإنما تعداها إلى الأراضي الأوربية نفسها.

اولاً: دوافع الكشوف الجغرافية

١- الدافع الاقتصادية

كان الدافع الاقتصادي هو أول الدوافع التي أوحت للأوروبيين بالاتجاه نحو الكشف والاستعمار. ويطلق على هذا النوع من الاستعمار، الاستعمار الاقتصادي أي التسلط على بقاع الأرض واتخاذها أسواقاً للكسب المادي العريض وذلك عن طريق تكوين الشركات الرأسمالية. وقد ساهم في هذا النوع من الاستعمار رجال من أصحاب النشاط المادي في بلادهم فأنشأوا في هذه المستعمرات مشروعات متعددة الأغراض سواء أكانت تجارية أم زراعية أم تعدينية.

ونظراً لأن الدول الأوروبية كانت تعتمد في الحصول على كثير من البضائع من الهند وبعض بلاد الشرق الأقصى مثل التوابل والمعادن والسكر والعاج وذلك عن طريق التجار المسلمين فلم يكن للتجار الأوروبيين وقتئذ اتصال مباشر بمصادر هذه البضائع التي كانت ضئيلة الكم باهضة الثمن، كما كان الطريق الذي تسلكه القوافل فضلاً عن طوله غير مأمون، فقد كانت التجارة بين أوروبا والشرق تنقل بعدة طرق أقلها كان ينقل بالقوافل براً في اواسط آسيا إلى القسطنطينية وأكثرها كانت تحمله سفن المسلمين من الشرق الى البصرة بطريق الخليج العربي إلى موانئ الشام أو الى السويس بطريق البحر الاحمر إلى الاسكندرية ومن هذه الموانئ جميعاً تنقلها السفن جنوة والبندقية إلى المدن الإيطالية التي تقوم بتوزيعها في أنحاء أوروبا.

وبعد أن استقر الأتراك السلاجقة في غرب آسيا وشكلوا ستاراً بين الشرق والغرب ازدادت مخاطر التجارة مع آسيا الصغرى وبلاد العرب، كما ازدادت نفقاتها، فقد استمرت سفن جنوة والبندقية تنقل الحرير والبهار والعطور والمواد الأخرى إلى الاسواق الغربية ولكن ثمن البضائع ارتفع عن ذي قبل بسبب الضرائب التي فرضها سلاجقة الأتراك وأمراؤهم. وبعد سقوط القسطنطينية في يد الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣ عقدت البندقية معاهدة مع السلطان العثماني حصلت فيها على امتيازات تجارية

عظيمة. وسرعان ما أهملت هذه المعاهدة وزادت الضرائب على البضائع زيادة فاحشة حتى ضج المستهلك الأوروبي.

وكان على الأوروبيين أن يختاروا احدى الحلول الآتية:

أ- الاستغناء عن الشرق وتجارته.
ب- القضاء على قوة الأتراك العثمانيين.
ت- البحث عن طريق آخر بعيداً عن أملاك العثمانيين.

ولما كان العسير الاستغناء عن هذه المواد التي كادت تصبح من الضروريات وليس من الكماليات، كما كان مكن المستحيل التغلب على الأتراك بعد أن سقطت الدول البيزنطية في أيديهم فإنه لم يكن أمام الأوروبيين إلا أن يبحثوا عن طريق جديد للشرق بعيداً عن أملاك العثمانيين.

٢- الدافع الديني

كان لهذا الدافع اثره الفعال في نشاط المغامرات الاستكشافية فقد كان من دوافع الاستعمار الرغبة في نشر المعتقدات الدينية والمبادئ السياسية التي كانت تدين بها أو بعبارة أخرى نشر حضارتها بمظاهرها المختلفة بين شعوب هذه البلاد. وقد اتجهت هذه الرغبة اتجاهاً دينياً أول الامر، ولعبت العوامل الدينية دوراً كبيراً في حركة الكشوف الجغرافية حيث تملكتهم رغبة قوية في مطاردة المسلمين في غرب أفريقيا وتحويلهم إلى المسيحية وتحويل الحبشة (اثيوبيا) إلى المذهب الكاثوليكي وفصلها عن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر.

وحظيت الكشوف الجغرافية باهتمام كبير من البابوية ومن ذلك إصدار عدد من البابوات مراسيم متلاحقة يخولون فيها ملوك البرتغال وإسبانيا الحق في ملكية كل إقليم جديد أو كل بحر جديد يتم اكتشافه في الحاضر أو المستقبل. وقد وصف بعضهم في هذه المراسيم الإسلام بأنه طاغون وطالبوا ببذل الجهد لتنصير سكان المناطق التي كشفت أو سوف تكتشف والحيلولة بينهم وبين إصابتهم بطاعون الإسلام. ومن هؤلاء البابا نيقولا الخامس والبابا كليمنت الثالث والبابا إسكند السادس، بل إنهم كانوا يعدون المشتركين في رحلات الكشف بالعفو الحساب في اليوم الآخر والفوز بالجنة والنجاة من النار. وكان دعاة المسيحية من رجال الطوائف الدينية يرافقون هذه الرحلات للقيام بمهمة نشر المسيحية وفق المذهب الكاثوليكي في المناطق التي تم اكتشافها.

وبذلك صارت الحماسة الدينية عند البرغال والإسبان من مواريث الصليبيين فكانت حياة الإسبان مستمراً وسعياً متصلاً في سبيل طرد العرب من بلادهم بعد أن ظل العرب بها ما يزيد على سبعة قرون ونصف قرن. وقد تحقق ذلك على يد ملك إسبانيا فرديناند في نهاية القرن الخامس عشر وكافأه البابا على نجاحه هذا بمنحه لقب (الملك الكاثوليكي) وهو لقب انفراد به بين ملوك أوروبا. وكانت إيزابيلا ملكة إسبنيا حين اقتنعت بوجوب المساهمة في مشروع كريستوف كولمبس متأثرة في ذلك بعاملين:

أ- الحصول على ثروة جزر الهند الغربية.
ب- نشر الثقافة المسيحية.

ويعد هذان الغرضان من الدوافع الأساسية التي دفعت بالإسبان إلى القيام بحركتهم الكشفية (١٤١٥-١٤٩٧) لسواحل أفريقيا مدفوعين كذلك بنشر المسيحية.

٣- نمو الروح القومية

وجدت دول الغربية في العالم الجديد وفي سواحل أفريقيا وجنوب آسيا مجالاً واسعاً إزاء رغبتها في السيطرة على بقاع جديدة لتحقيق أهدافها التوسعية، وكانت أعظم تلك الدول وأنشطها في هذا الميدان إسبانيا والبرتغال وهولندا وفرنسا وإنجلترا وهي دول كانت تحركها النزعة القومية، وكانت لكل منها ظروف خاصة مهدت لتحقيق وحدتها القومية في نهاية القرن الخامس عشر وخلال القرن عشر. وقد تأخرت كل من ألمانيا وإيطاليا عن الحاق بتلك الدول حتى استكملنا وحدتيهما القوميتين فكان اهتمامهما بالاستعمار واضحاً في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وقد تخلفت النمسا عن مواكب الظهور في هذا الميدان.

٤- الدافع الاستيطاني

من اهداف الاستعمار أيضاً البحث عن أوطان جديدة وبخاصة لمن ضاقت بهم بلاد المستعمرين ولم يتضح ذلك الهدف قبل القرن التاسع عشر، وهناك ساسة راشدون من الساسة البريطانيين في مطالع حركة الاستعمار يرون في ذلك خطراً على مصلحة الوطن يتمثل في حرمانه من جهود المهاجرين من أبنائه الأكفاء. ويعد هذا النوع من الاستعمار شراً خالصاً لأنه يعني الاغتصاب والسطو على بلاد آمنة مطمئنة آهلة بالسكان يتم احتلالها عن طريق المستعمرين يستغلون أبناء الوطن ويستنزفون ثرواتهم وخيراتهم وخيرات بلادهم، ومثال ذلك سياسة إيطاليا الفاشية في أفريقيا فقد كانت المناطق الأفريقية في نظر الإيطاليين مجالاً متسعاً للجاليات الإيطالية، وتعد هذه السياسة ضرباً من الزيف السياسي وذريعة لتحقيق المطامع المادية.

٥- الدافع الاستراتيجي

تسعى الدول الاستعمارية إلى السيطرة على بعض البقاع لتحقيق أهدافها العسكرية أو الاستراتيجية، ومثال ذلك احتلال إنجلترا لقناة السويس لتأمين السبيل إلى مستعمراتها في الهند الأمر الذي كان يحتم عليها كما ادعت أن تسيطر على خط المواصلات إلى إمبراطوريتها بالهند ابتداء من جبل طارق مروراً بمالطة وقناة السويس ثم عدن وسنغافورة.

٦- الرغبة في زيادة المعلومات الجغرافية

كانت أجزاء كبيرة من العالم مجهولة لا يعرف الأوروبيون عنها شيئاً حتى بداية القرن الخامس عشر، وكان الأوروبيون قد سيطرت عليهم في عصر النهضة رغبة قوية لزيادة معلوماتهم الجغرافية. ففي القرن الثالث عشر أخذ بعض الرحالة من الاوروبيين يقومون برحلات طويلة في جهات الشرق وأكثرهم شهرة الرحالة ماركو بولو Marco Puloوهو من أهل البندقية قام برحلة مع ابيه وعمه إلى بلاد الصين حيث قضى نحو عشرين سنة عاد بعدها إلى بلاده عام ١٢٩٥ حاملاً الكثير من الاحجار الكريمة حتى أطلق عليه مواطنوه "ماركو صاحب الملايين".

وأخذ يسرد عليهم القصص والعجائب التي شاهدها في بلاد الصين واليابان والهند وجاوه والتي تمتاز بضخامة ثروتها وبالرخاء وبكثرة سكانها، وأكد ماركو بولو لمعاصريه أن الكرة الأرضية تختلف كل الاختلاف عما تصوره الأولون؛ وبذلك ادت رحلته إلى امتداد في آفاق المعرفة الإنسانية بصورة غير مسبوقة المثيل.

٤٨٠٤٥